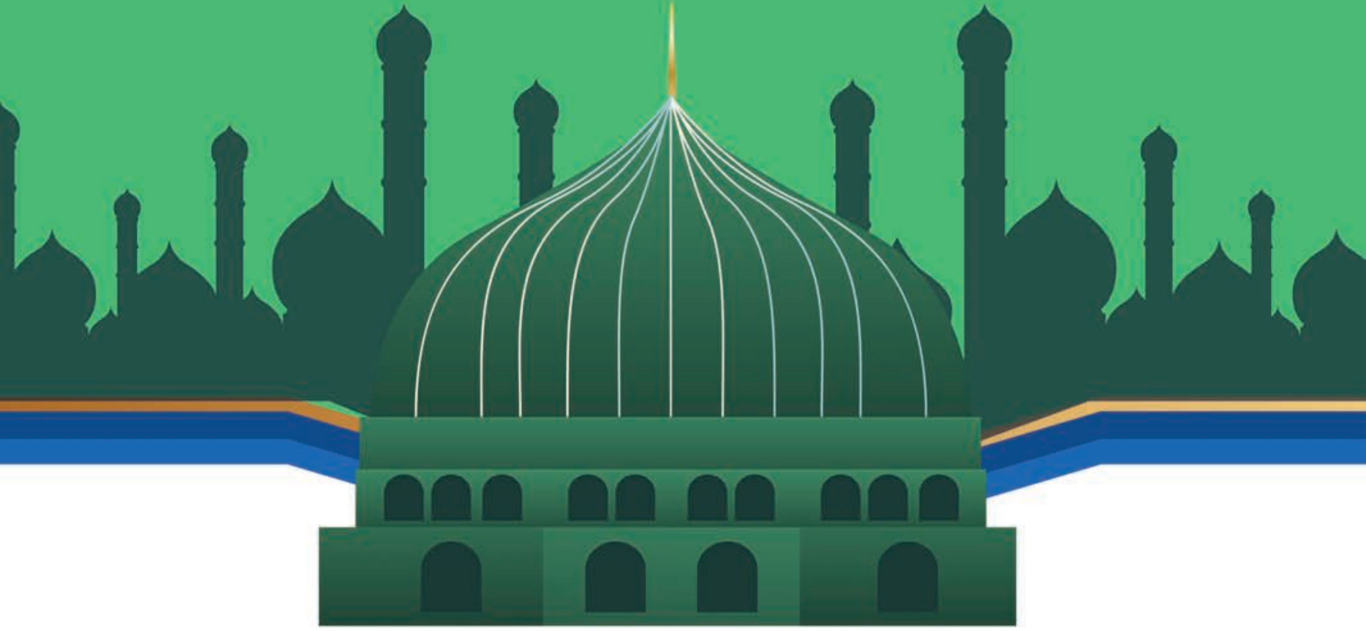


موكب النصر المتألق في غزوة بدر

جمع وترتيب

محمد حسن علوي الحداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ وَلِيِّ الْمُتَّقِين ، الذي يَتَوَلَّى الصَّالِحين ، وَعَدَ الْمُتَّقِينَ بِالنَّصرِ الْمُبين ، فقال وهو أصدقُ القائلين " وكان حقًّا علينا نَصْرُ الْمؤمنين " .

اللهمَّ صلِّ وسلِّم ، وَبَارِكْ وكرِّمْ ، على إمامِ الْمُجاهِدين ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِين ، وعلى آلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرين، وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِين ، الذين جاهدُوا في اللهِ حَقَّ الْجِهَاد ، وفازوا بِإِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ النَّصْرِ أَوِ الاسْتِشْهَادَ ، صلاةً وسلامًا دَائِمَينِ مُتَلازِمَيْنِ مِنْ يومِنا هذا إلى يومِ الْمعاد .

وبعدُ فهذهِ قُطُوفٌ نَدِيَّة ، مِنْ رياضِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّة ، تَمْلأُ الآفَاقَ نَدًا وَعِطْرًا ، مِنْ عَبِيرِ غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى ، وَحِيْنَمَا تَضَوَّعَ عَبِيرُهَا ، وَانْتَشَرَ نَفْعُهَا وَخَيْرُهَا ، نسألُ اللهَ أن يَعُمَّ بِنَفْعِهَا ، كُلًّا مِنْ قَارِئِهَا وَسَامِعِهَا ، وَنَاشِرِها وَطَابِعِها ، وَأَن يَجْعَلَهَا لِلْجميعِ ذُخْرًا ، وَبَرَكَةً وَبِرًّا ، في الدُّنيا وَالأُخْرَى ، إنَّـهُ وَلِيُّ كُلِّ خَيْرٍ وَالْقَادِرُ عليه ، لا مَلْجَأَ وَلامَنْجَأَ مِنْهُ إلَّا إليه ، وهذا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْقَطْفِ الْمَأْمُولِ وَبِاسْمِ اللهِ نَبْدَأُ وَنَقُول :

الفصل الأول

مُقدِّمَةٌ تفُوحُ ندًى وَعِطْرًا ، مِنْ عُبيرِ غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى

إِنَّ مِنْ أَبْـرَزِ الْمَعَـالِمِ التَّارِيخِيَّـه ، فـي تـاريخِ الأُمَّـةِ الإسلاميـَّـة ، الْهِجْرَةُ النَّبَوِيَّة مِنْ مَكَّةَ الْمُكرَّمَةِ زَادَهَا اللهُ تَشْرِيفًـا وَتكْرِيمًـا ، إلى طَيْبَـةَ الطيِّبَـةِ الَّتِـي حَـازَتْ بِمُشَـرِّفِهَا ﷺ عِزًّا وتَقْدِيمًـــا ، وَعِنْدَمَا اسْتَقَرَّ الْمُسْلِمُونَ فِـي المدينَـةِ الْمنـوَّرة ، وَشَـاءَ اللهُ لهم أَنْ يَحْيَوْا بِمَعِيَّةِ نَبِيِّهِمِ الْكَرِيمِ حَيَاةً نَيِّرَة، طَابَ لهم في طَيْبَـةَ الْمُقَام، وَأَظْهَرُوا فِيهـا شَـعَائِرَ الإسـلام ، ثُـمَّ تطلَّعُـوا إِلَـى نَشْـرِ الإسـلامِ فِـي أَنْحَـاءِ الْمَعْمُورة ، فَرَفَعُوا رَايَةَ الْجِهَادِ فِي أبْهَجِ صُوْرَة ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ الشَّـرِيفِ إلـى جَانِـبِ كَوْنِـهِ مَحَـلاًّ لِلْعِبَـادة ، مُنْطَلقًا لِجَيْشِ الْمُسلمينَ وَمَرْكزًا لِلْقِيَادَة ، فَمِنْـهُ انْطَلَقَتْ مَوَاكِبُ الْجِهَاد ، وَعُقِدَتِ الرَّايَاتُ وَسُيِّرَ الأَجْنَاد ، وَلايَخْفَى على كلِّ ذِي بصيرةٍ مُنِيرة ،مِمَّنْ لهم اطِّلاعٌ على كُتُبِ السِّيرة أَنَّ المسلمينَ في صدرِ الإسلام ،وفي مُقَدِّمتِهِمْ الرَّسُولُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ تَعَرَّضُوا فِي مَكَّةَ لِلإِيْذَاءِ الشَّديد، على يَدِ كِبَارِ قُرَيْشٍ مِنْ كُلِّ جَبَّــارٍ عَنِيد ، وَسَلْ بِلالاً وَآلَ يَاسرٍ وَالْمُسْتَضْعَفِين ، عَمَّـا لاقَوْهُ مِنْ تَعْذِيبٍ مِنْ قُلُوبٍ قَاسِيَةٍ لَا تَلِين ، وَلمَّا هَـاجَرُوا مِنَ الْبَلَدِ الأَمِينِ تَرَكُوا فيها أموالَهم مِنْ كلِّ نَفِيْسٍ وَثَمِين، وَاسْتَوْلَى عليها الْكُفَّار ، بِقُوَّةِ الْحَدِيدِ وَالنَّــار ، فَكَانَ مِنْ حَقِّهِمْ أَن يَنْتَصِفُوا مِمَّنْ ظَلَمَ وَأَجْرَم ، وَيَعْتَدُوا عَلَى مَنِ اعْتَدَى عَلَيْهِم وَالْبَادِئُ أَظْلَم ،فَـأَذِنَ لَهُمُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَال ، بِقِتَالِ أَهْلِ الْكُفْر

وَالضَّـــلَال ، وَقَـــالَ الْعَلِـيمُ الْخَبِيـــر ، فِـــي الْكِتَـــابِ الْمُنِيـــر ،" أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ "

وَنَمَـا إِلَـى عِلْمِ الْمسلمينَ عَبْرَ وَسَائِلِ الإِعْلَام ، فِي تِلْكَ الْأَيَّام، أَنَّ عِيْرًا لِقُرَيْشٍ قَادِمَـةً مِـنَ الشَّـامْ وَفِيهَا تِجَارَةٌ لهم مِنْ نَقْدٍ وَطَعَام، فَنَـدَبَ الرَّسُـولُ الْمُصْطَفَى ، أَصْحَابَهُ أَهْلَ الصِّدقِ وَالْوَفَـــا أَنْ يَتَأَهَّبُوا لِلْمَسِير ، لِلْاَسْتِيْلَاءِ عَلَى الْعِيْـر ، وَقَالَ لهم بِالنَّصِّ وَالْمَعْنَى : مَـنْ كَـانَ ظَهْـرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَـــا ، فَرَكِبَ مَعَـهُ مَـنْ كَـانَ حَاضِرًا مُتَأَهِّبَـا وَلم يَنْتَظِرْ من كان غَائِبَـا ، وكان عددُهم ثَلَاثَمِـائَةٍ وَثَلَاثَـةَ عَشَر، عددَ أَصْحَابِ طَالُوْتَ الَّذِينَ جَاوَزُا مَعَـهُ النَّهَـــــر، فَقَاتَلَ بِهِمْ وَانْتَصَر ، وكَـانَ خروجُهم بقيادةِ سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَان ، يَوْمَ السَّبتِ لِثِنْتَـيْ عَشْرَةَ لَيْلَـةٍ خَلَتْ مِنْ رمضـــان ، وَجَـاءَ الْوَعْدُ مِنَ الْعَلِـيِّ الْكَبِيـر ، لِرَسُولِهِ الْبَشِـيرِ النَّذِير ، أَنَّ إِحْدَى الطَّـائِفَتَيْنِ لَكُمْ إِمَّا الْعِيْرَ أَوِ النَّفِير، فَأَنْجَزَ اللهُ لهم وَعْدَهُ وَاللهُ على كلِّ شيءٍ قدير .

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

اللـهم صلِّ وسلِّم وبَارِكْ عليه

الفصل الثاني

تَصَرُّفُ أَبِي سفيان فِي هذا الْمَوْقِفِ الْخَطِيرِ وَاسْتِنْجَادِهِ بِقُرَيْشٍ لِإِنْقَاذِ الْعِيرِ .

سَمِعَ ابو سفيان مِنْ بعضِ الرُّكبان ، أنَّ المسلمينَ خرجوا لِيَسْتَوْلُوا على الْعِيــر ،ومافيها من مـالٍ كثير ، فَاسْتَأْجَرَ ضُمْضُمَ بْنَ عَمْرٍو الْغِفَارِي ، لِيُعْلِنَ فـي مكـةَ حَالَـةَ الطَّوارِي ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمُ النَّجْدَةَ ، قبل أَنْ يفْقُدَ مَاعِندَه، وذهب إلى مكة مُسْرِعًا، وَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ قَلِقًـاً فَزِعًا:

" يَامَعْشَرَ قُرَيْش اللَّطِيْمَةَ اللَّطِيمَـة ، أَمْـوالُكُمْ مَـعَ أَبِـي سُفْيَان قَدْ عَرَضَ لها محمدٌ وأَصْحَابُه ، لا أَرَى أَنْ تُدْرِكُوهَا .. الْغَوْثَ الْغَوْثَ " .

وَشَقَّ قَمِيصَـهُ وجَدَعَ أَنْفَ الْبَعِير ، وَحَوَّلَ رَحْلَـهُ وَهَكَذَ كـَانَ يفْعَلُ النَّـذِير، فَسَـرَتْ فِـي مكـة مَوْجَـةٌ مِـنَ الرُّعْـبِ وَالْفَـزَع، وَتَجَهَّـزُوا لِيُدْرِكُوا أموالَهم قبل أَنْ تَقَعَ، وَلَـمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا أَبَـا لَهَب، إِسْتَأْجَرَ مَكَانَـهُ رَجُلاً أَبْـرَأَهُ مِـنْ دَيْـنٍ كـَانَ لَـهُ عَلَيْـهِ فَذَهَبَ ، وَعَزَمَ أُمَيَّـةُ بْـنُ خَلَـف ، عَلَـى أَنْ يَتَخَلَّـفَ، فَأَرْسَـلَ إِليـهِ أَبُـوْ جَهْـلٍ بِمَجْمَرَةٍ فِيها بَخُور ، فقال له اسْتَجْمِرْ فَأَنْتَ مِنَ النِّسَاءِ وَلَسْتَ مِنَ الذُّكور.

فَخَرَجَ حَذِرًا وَفِـي نِيَّتِـهِ أَنْ يَرْجِـع، هَيْهَـاتَ هَيْهَـاتَ فقد كـان علـى مَوْعِدٍ مَـعَ الْقَدَرِ بِمَصِيْرٍ مُفْجِعٍ، فَتَجَهَّزُوا مُسْرِعِين، لِأَنَّهُمْ كـَانُوا

عَلَى عِيْرِهِم فَزِعِيْن ، رَكِبُوا الصَّعْبَ وَالذَّلُول ، ومعهمُ الْقَيْنَاتُ وَالطُّبُول،بلغُوا الْأَلْفَ أَوْ كَادُوا،وَمَائِةً مِنَ الْخَيْلِ قَادُوا، ومعهم سِتَّمَائِةٍ مِنَ الدُّرُوعِ أَوْ زادُوا .

وكان بينهم وبين كِنَانَةَ دِمَاء ، فخافُوا أن يتعرضُوا لهم بِشَيْءٍ مَا، ، فَتصَوَّرَ لهم إبليسُ اللَّعِين الْهَالِك ، في صورةِ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِك ، وكان من أشرافِ كِنانه ، يحترمونَ جِوارَهُ وأَمَانَه ، فقال على لِسَانِهِ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاس ، إِنِّي جَارٌ لكم لاغَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاس ، فَقَوِيَ عزْمُهُمْ عَلَى الْمَسِير،لإِدْرَاكِ الْعِير .

وَفِي إِجْرَاءٍ وِقَائِيٍّ آخَر ، تَقَدَّمَ أبو سفيان وَمَااسْتأخَر ، غَيَّرَ اتْجِاهَ سَيْرِه ، وَجَدَّ في مَسِيْرِه ، حتَّى نَجَا بِعِيرِه ، وَلَمَّا تيَقَّنَ أَنَّهُ جَاوَزَ الْخَطر ، وَنَجَا بِالْعِيرِ وَبَلَغَ الْوَطَر ، أَرْسَلَ إِلَى قُرَيْشٍ يَأْمُرُهُمْ بِالرُّجُوع ، لَكِنَّ أَمْرَهُ هٰذا كان غَيْرَ مَسْمُوع ، وقال أبو جهل واللهِ لانَرْجِعُ حتَّى نَحْضَرَ بدْرا ، وَنَنْحَرَ جَزُورًا وَنشْرَب خَمْرا ، وَتَعْزِفُ علينا الْقِيَان ، أَعْذَبَ الْأَلْحَان ،وَتَسْمعَ الْعَربُ بِمَسِيْرِنا فَيَهَابُونَا إلى الْأَبَد ، قال هٰذا لِأَمْرٍ أَرادَهُ اللهُ مَالَهُ مِن مَرَّدٍ ، فَحَلَّ بِهِ وَبِقَوْمِهِ الْخِزْيَ وَالْوَبَال " وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلَا مَرَّدَ لَهُ وَمَالَهُمْ مِنَ دُوْنِهِ مِن وَال"

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا صَلّوا عَلَيهِ وَسَلِّموا تَسليمًا﴾ اللهم صل وسلم وبارك عليه

الفصل الثالث

مشاورةُ النبيِّ لأصحابه الكرام فيما يواجههم من المهام.

ولما بلغ النبيَّ المختار ، وأصحابَهُ الأخيار ، الأخبارُ القائلة ، بنجاةِ القافلـه جمـعَ رسـولُ الله ﷺ أصـحابَهُ الكـرام ، واستشـارهم فيمـا يُوَاجِهُهُمْ مِنَ الْمَهَامِّ قائــلًا : أيها النـاس أَشِيرُوا علـيَّ فتكلم أبو بكـرٍ وعمـرُ والْمِقْـدَاد، وكلُّهـم أَحْسَـنَ وَأَجَـادَ ، وَابْـدَوْا أَنَّهُـمْ علـى اسْتِعْدَادٍ، لِخَوْضِ مَعَامِعِ الْجِهَاد، وكلُّ الثلاثةِ كانوا من المهاجرين ، فمـا زالَ ﷺ يعيدُها على المجتمعين ، أَشِيرُوا علـيَّ أيهـا النـاس ، يَسْتَطْلِعُ رَأْيَ الأنصـار، ومـايجولُ فـي خَـوَاطِرِهِم مـن أفكـار ، لِأَنَّ نصـوصَ معاهدةِ الْعقبَـة ، لاتُلْزِمُهُم بِالْقِتَـالِ خَـارِجَ طَيْبَـةَ الطَّيِّبَـة ، فَفَطِنَ لذلك سَعْدُ بْنُ معاذ سَيِّدُ الأنصــار ، وَحَامِلُ لِوَاءِ كَتِيْبَتِهِمْ، ذَاتِ الْمَجْدِ وَالْفَخَار، فقال :واللهِ يارسولَ الله لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا فقال أَجَــلْ قال سعد : فإنَّا قد آمَنَّا بك وصدقناك، وَشَهِدْنَا أَنَّ مـا جئـتَ بـه هو الحق، وأعطيناكَ على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السَّمعِ والطاعة، ، فَامْضِ يـا رسـول الله لِمَا أردتَ، صِلْ حَبْلَ من شئتَ، وَاقْطَعْ حَبْلَ من شئتَ، وَسَالِمْ مَنْ شِئْتَ وَعَادِ مَنْ شِئْتَ، وَخُذْ من أموالِنا ما شِئْتَ وَأَعْطِنَـا مَـا شِئْتَ، ومـا أَخَذْتَ منَّـا كـان أَحَبَّ إلينـا مِمَّـا تركتَ، ومـا أَمَرْتَ بِـهِ مِنْ أَمْرٍ فَأَمْرُنَـا تَبَعٌ لِأَمْرِكَ، واللهِ لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَـا هذا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ مَـا تَخَلَّفَ مِنَّـا رَجُلٌ وَاحِد، وَمَـا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّـا لَصُبُرٌ فِي الحرب، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاء،

وَلَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُك، فَسِرْ على بركةِ الله ، فنحنُ عن يمينكَ وشمالك، وبين يديكَ وخلفِك، ولانقولُ لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى "إِذْهَبْ أنت وربُّكَ فقَاتِلا إنَّا هاهُنَا قَاعِدُون"

وَلَكِنْ اِذْهَب أنتَ وَربُّكَ فقَاتِلَا إِنَّا معكُمَا مُقَاتِلُون.

فَأُعْجِبَ ﷺ بِمَاقَالَ سَعْدٌ عَلَى لِسَانِ الْأَنْصَار، وَسُرَّ وَجْهُهُ وَاسْتَنَارَ ، وَبَشَّرَ أَصْحَابَهُ بِمَا وَعَدَهُ اللهُ بِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَالانْتِصَــارِ ٠

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا صَلّوا عَلَيهِ وَسَلِّموا تَسليمًا﴾

اللهم صل وسلم وبارك عليه

الفصل الرابع

إِلتقاءُ الْفرِيْقين وتَمرْكزُهُمْ فِي مَرْكِزَيْنِ مُتقابِلَين

وَانطَلَقَ جُنْدُ الإسلام ، بقيادةِ النبيّ عليه الصلاةُ والسلام ، حتى نزلوا أَدْنَى مَاءٍ مِنْ مياه بدر ، وَهُنا قَامَ الْحُبابُ بْنُ الْمُنْذِر ، وقال يارسولَ الله أَهَذَا مَنْزِلٌ أَنْزَلكهُ اللهُ لَيْسَ لنا أن نَتَقَدَّمَهُ وَلانَتَأَخَّرَ عَنْهُ أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدة ، قَالَ بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَة ، قال يارسولَ الله فَإِنَّ هذا ليس بِمَنْزِل ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ فَنَنْزِلَهُ وَنُغَوِّرَ " أَيْ نَدْفِنُ "مَاوَرَاءَهُ مِنَ الْقُلُبِ ثُمَّ نَبْنِي عليه حوضًا وَنَمْلأُهُ مَاءً فَنَشْرَبُ وَلايَشْرَبُون ، فقال رسولُ الله ﷺ : لقد أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ فَنَهَضَ رسولُ الله ﷺ بِالْجَيْشِ وَنَزَلَ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا، وَبَنَوا الْحَوْضَ للسُّقْيَا ،وَبَاتَ المسلمونَ لَيْلَتَهُمْ هَادِئِينَ مُطْمَئِنِّيْنَ، غَمَرَتْ قلوبَهُمُ السَّكِينَةُ، وَأَخَذُوا قِسْطًا مِنَ الرَّاحَة ، وكانت تلك اللَّيْلَةُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لَيْلَةَ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رمضانَ في السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَة .وبُنِيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَرِيشٌ فَوْقَ تَلٍّ مُشْرِفٍ على أرضِ الْمعركة ، يُصَلِّي فيه ويدعو ربَّهُ بِالنَّصْرِ وَالْبَرَكَة وكان من دعائِهِ لأصحابِه :

اللهمَّ إنهم حُفَاةٌ فَاحْمِلْهُمْ ، وَعُرَاةٌ فَاكْسِهِمْ ، وَجِيَاعٌ فَأَشْبِعْهُمْ ، وَعَالَةٌ فَأَغْنِهِمْ مِنْ فَضْلِك .

فَاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَ نَبِيِّه إِذْ قَامَ دَاعِيَـا ، فَاكْتَسَى مَنْ كَانَ عَارِيَـا ، وَشَبِعَ مَنْ كَانَ طَاوِيَـا ، وَعَادَ كُلَّ واحدٍ منهم بِالْبعِيرَيْنِ أَوِ الْبعِيرِ ، وَاصَابُوا مِنْ فِدَاءِ الْأَسْرَى مَا اغْتَنَى بِهِ الْفَقِيرُ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى فَضْلِهِ الْكَبِيرِ وَخَيْرِهِ الْكَثِير

وَانْـزَلَ اللهُ علـيهم مَطَـرًا ، لا يَخْشَـوْنَ مِنْـهُ ضَـرَرًا ، كـان علـى المشركينَ وَابِلًا شديدا ، مَنعهُمْ أَنْ يتقدَّمُوا إِلَى الأمام ، وكان على المؤمنينَ طَلًّا مُفِيْدَا ، تَطَهَّرُوا بِـهِ وَأَذْهَبَ عنهم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَثَبَّتَ بـهِ الْأَقدامَ قال اللهُ تعالى وهو القدوس السلام "إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ" فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ على هَذَا الْأَنْعَام .

أَمَّا قُرَيْش فقد نزلتْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ، فلمَّا اسْتَقَرَّ بِهِم الْمُقَام ، ارْسَلُوا عُمَيْرَ بْنَ وَهْبِ الْجمحِي لِيَحْزُرَ لهم جَيْشَ الْإِسْلَام ، أَهُمْ أَقَل منهم أَوْ أَكْثَر ، فَجَالَ بِفَرَسِهِ حَوْلَ الْعَسْكَر ، ثُمَّ قَالَ قَوْلًا فَصَّلَهُ تَفْصِيلَا :هُمْ ثَلاثمائَةٍ يَزِيدُونَ قَلِيْلَا أَوْ يَنْقُصُونَ قَلِيْلَا ، وَلَكِنِّي وَاللهِ رَأَيْتَ البلايا تَحْمِلُ الْمنايَا ، نَوَاضِحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النَّاقِع ، قَوْمٌ لَيْسَ لَهُمْ مَنَعَةٌ إِلَّا سُيوفُهُمْ ، وَاللهِ لا أرى أَنْ يَقْتَلَ رجلٌ منهم حَتَّى يَقْتُلَ رجلًا منكم ، فَإِذَا أَصَابُوا منكم عَدَدَهُمْ فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بعدَ ذَلِك ، فَرَوْا رَأْيكُمْ فَلَمَّا سَمِعَ حَكِيْمُ بْنُ حِزَام ، هَذَا الْكَلَام ، مَشَى فِي

النَّاسِ مُحَاوِلًا نَزْعَ فَتِيلِ الْحَرْبِ ، وَإِغْلَاقَ بَابِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، وقال لِعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَه إِنَّكَ كَبِيرُ قُرَيْشٍ يا أَبَا الْوَلِيد ، وَسَيِّدُهَا الْمُطَاعُ ، هَلْ لَكَ أَنْ تُذْكَرَ بِخَيْرٍ إِلى آخِرِ الدَّهْرِ، وقَالَ وَمَاذَاكَ ياحَكِيم ، قال تَرْجِعُ بِالنَّاسِ وتَحمِلُ أَمْـرَ حَلِيفِكَ عَمْرُ بْنُ الْحَضْرَمِي ، قال قد فَعلْتُ وَأَنْتَ ضَامِنٌ عَلَيَّ بِذَلِك ، وَرَكِبَ عُتْبَةُ جَمَلَهُ الأَحْمَـر وَجَعَلَ يَجُولُ بيْنَ الْعَسْكَرِ ويقول :

يَاقَوْمُ أَطِيعُوني فَإِنَّكُمْ لاتَطْلُبُونَ غَيْرَ دَمِ ابْنِ الْحَضْرَمِي وَمَا أُخِذَ مِنْ عِيْرِهِ ، وَقَدْ تَحَمَّلْتُ كُلَّ ذَلِك ، وكَان قد قَتَلَهُ المسلمونَ قَبْلَ هذا الْمَسِيـر ، واستَولَوا على مَامَعَهُ مِنَ الْعِيـر ، وَرَأى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم عُتْبَةَ وهو يَجُولُ بَيْنَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ إن يَكُنْ فِي أَحدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَفِي صَاحِبِ الْجَمَلِ الأَحْمَر ، إِنْ يُطِيعُوهُ يُرْشَدُوا ، ولَكِنَّ أَبَا جَهْلٍ قَام بِإِفْسَادِ خِطَّتِهِ ، وَحَالَ بَيْنَهُ وبَيْنَ طَلْبَتِهِ ، وَلِلهِ في خَلْقِهِ شُؤن ، وَهُمْ بِأَمْرِها لا يَعْلَمُون ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُون

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا صَلّوا عَلَيهِ وَسَلِّموا تَسليمًا﴾

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِكْ عليه

الفصل الخامس

بِدْءُ الْمعركةِ بِالْمُبارَزَةِ ثُمَّ اشْتِبَاكُ الْفريقين، وَالْتِحَامُ الصَّفَّين

وَجَاءَ دَوْرُ الْمُبَارَزَه ، وَبِهَا بَدَأَتِ الْمُنَاجَزَه ، فخرج مِنْ صَفِّ المشركين، ثلاثةٌ من المقاتلين، هم: شَيْبَةُ بْنُ ربيعه، وعُتْبَةُ بْنُ ربيعه، وَالْوَلِيْدُ بْنُ عُتْبَه ، فَخَرَجَ إليهم فِتْيَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ أَهْلِ الشَّجَاعَةِ وَالإِيْثَار، فقالوا لهم أَكْفَاءٌ كِرام، مَالَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ، وَنَادَوْا يَامُحمد أَخْرِجْ لَنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا قَالَ ﷺ قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَة، قُمْ يَاحَمْزه، قُمْ يَاعَلِيّ ، فَبَارَزَ أَبُوْ عبيدةَ شَيْبَه ، وَبَارَزَ حَمْزَةُ عُتْبَة ، وَبَارَزَ عَلِيٌّ الْوَلِيـــدَ.

فَلَمْ يَلْبَثْ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ أَنْ قَتَلَ كُلُّ مِنْهُمَا خَصْمَهُ ، وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ وَشَيْبَةَ فَكِلاَهُمَا ضَرَبَ خَصْمَهُ ضَرْبَةً مُمِيْتَه ، فَكَرَّ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ على شَيْبَةَ بأَسْيَافِهِمَا حَتَّى قَتَلاه ، وَاحْتَمَلاَ صَاحِبَهُمَا إِلَى مُعَسْكَرِ الْمسلمين . فَأَفْرَشَهُ ﷺ قَدَمَهُ الشَّرِيف ، وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَيْهِ وَقَال : أَشَهِيْدٌ أَنَا يارسولَ الله، فقال ﷺ أَشْهَدُ أَنَّكَ شَهِيْد، فَأَنْشَأَ يقول:

فَإِنْ يَقْطَعُوا رِجْلِيْ فَإِنِّي مُسْلِمٌ أُرَجِّيْ بِهَا عَيْشًا مِنَ اللهِ عَالِيَا
وَأَلْبَسَنِي الرَّحْمٰنُ مِنْ فَضْلِ مَنِّهِ لِبَاسًا مِنَ الإِسْلاَمِ غَطَّى الْمَسَاوِيَا

فَلَمَّا الْتَحَمَ الْقِتَال، وَدَنَتِ الصُّفُوفُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، جَعَلَ اللهُ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُسلمينَ قَلِيْلاً، لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً،

، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَقَدْ قُلِّلُوْا فِي أَعْيُنِنَا حَتَّى قُلْتُ لِرَجُلٍ أَتَرَاهُمْ سَبْعِينَ قال أَرَاهُمْ مَائِةً.

وَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ حَفْنَةً مِنْ الْحَصْبَاءِ ، فرمى بها وُجُوْهَ القوم ، فلم يَبْقَ رجلٌ من المشركين ، إِلَّا امْتَلَأَتْ عَيْنَاه ، لَا يَدْرِي أين تَتَوَجَّهُ بِهِ قَدَمَاه .

وَلَمَّا اشْتَبَكَ الْفَرِيقان ، وَالْتحَمَ الصَّفَّان ، عَجَّ النبيُّ ﷺ والمسلمونَ بالدُّعاء ، اِبْتِهَالًا لِرَبِّهِمْ وَتَضَرُّعَا ، يَسْتَغِيثُوْنَ الله أَنْ يُمُدَّهُمْ بِالنَّصْرِ وَالتَّمْكِين، وَأَنْ يُنْجِزَ لهم وَعْدَهُ فِي كِتَابِه الْمُبِين(وكان حقًّا علينا نَصْرُ الْمؤمنين) . فَأَمَدَّهُمُ اللهُ بِالْملائِكةِ الْمُكْرَمِين ، كَمَا قَال ذُوْ الْقُوَّةِ الْمَتِين " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" وَأَلْقَى اللهُ الرُّعْبَ في قلوبِ الكفار ، وَعَمِيَتْ مِنْهُمُ القلوبُ والأبصار، فصاروا بين قتيلٍ أَوْ أَسِير ، أَوْ مُنْهَزِمٍ يَجِدُّ فِي الْمَسِير ، وكان عَدَدُ القتلى من الكفَّارِ سبعين ومن الأسرى سبعين ، وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْمسلمينَ أَرْبَعَةَ عشَر ، فَاضَتْ أرواحُهم إلى جنَّاتٍ وَنَهَر ، فِيْ مقعدِ صِدْقٍ عند مليكٍ مُقْتَدِر .

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا صَلّوا عَلَيهِ وَسَلِّموا تَسليمًا﴾

اللهم صل وسلم وبارك عليه

الفصل السادس

اَلْخَبَرُ اَلْيَقِين عَنِ اَنتِصَارِ اَلْمسلمين وهزيمةِ المشركين .

وكان المسلمونَ في مدينةِ الخيرِ والبركة ، يَتطَلَّعُونَ إلى مَعْرِفَةِ أَخْبَارِ اَلْمعركة ، فَأَرْسَلَ الرَّسولُ ﷺ عَبْدَاللهِ بْنَ رَوَاحَه ، وَزَيْدَ بْنَ حَارِثَه ، يَزُفَّانِ اَلْبُشْرَى إِلَى المسلمين ، بِأَخْبَارِ هٰذا النَّصْرِ اَلْمُبين ، فكان كُلٌّ منهما يُنَادِي ، فِي تِلْكَ النَّوَادِي ، يَامَعْشَرَ اَلْمُسلِمين أَبْشِرُوا بِسَلَامَةِ رسولِ الله ﷺ وَهَزِيمَةِ اَلْمُشْرِكين ، فَفَرِحَ المسلمونَ بذالك فرحًا كبيرا ، وَاهْتَزَّتِ أَرْجَاءُ اَلْمَدِينَةِ تَهْلِيلًا وَتَحْمِيدًا وَتَكْبِيرَا ، وَاغْتَمَّ اليهودُ والمنافقونَ وَنَادَوْا بِالْوَيْلِ وَالثُّبُور ، وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأمور .

وَأَمَّا أَهْلُ مَكَةَ فَأَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عليهم بَخَبَرِ اَلْهَزِيمَة ، وَمَاأُصِيْبُوا بِهِ مِنْ هَزِيْمَةِ جَسِيمة ، اَلْحُسَيْمَانُ بْنُ إِيَاسِ اَلْخُزَاعِي ، وَنَقَلَ إِلَيْهِمْ هَزِيْمَةَ جَيْشِهِمِ اَلْمُتَدَاعِي ، وَقَالَ فِي هٰذا اَلْإِعْلَان ، قُتِلَ عُتْبَه وَشَيْبَه وَأَبُو جَهْلٍ وفلانٌ وفلان ، فَمَا كَانُوْا يُصَدِّقُونَهُ فِيْمَا يَقُول ، وقالوا هٰذا غَيْرُ مَعْقُول ، وقال صفوانُ بْنُ أَمَيَّه وَاللهِ مَايَعْقِلُ هٰذا سَلُوْهُ عَنِّيْ فقالوا مَافَعَلَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّه ، قَالَ هُوَ ذَاكَ جَالِسٌ فِي اَلْحِجْرِ وَقَدْ شَهِدتُ مَصْرَعَ أَبِيْهِ وَ أَخِيْهِ حِيْنَ قُتِلَا ، فَلَمَّا تَحَقَّقُوا اَلْأَخْبَار ، وَتَأَكَّدُوْا مِنَ اَلْهَزِيْمَةِ وَاَلْأَنْدِحَار ، دَخَلَ قلوبُهم مِنَ اَلْحَسْرَةِ لِهٰذِهِ اَلْمَآسِي ، مَاتَنُوْءُ بِهِ اَلْجِبَالُ الرَّوَاسِيْ ، وَأُلْقِيَ بِقَتْلَى اَلْكُفَّارِ فِي

الْقَلِيبِ ، وَبَاؤُا بِالْخِزْيِ وَالتَّثْرِيب ، وَوَقَفَ الرَّسولُ الْحَبِيب ، عَلَى شَفِيْرِ الْقَلِيب ، وَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ ، يَافُلانُ بْنُ فلان ، يافلانُ بْنُ فلان ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا ، فَإِنِّيْ وَجَدْتَ مَاوَعَدَنِي اللهُ حَقًّا

وفي روايةٍ أنه قال : بِئْسَ الْعَشِيرَةُ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ ، كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقَنِيَ النَّاس ، وَخَذَلْتُمُونِي وَنصَرَنِيَ النَّاس ، أَخْرَجْتُمُونِيْ وَآوَانِيَ النَّاس .

فقال عمرُ بْنُ الخطاب يارسولَ الله كيف تُكَلِّمُ أجسادًا لاَ أَرْوَاحَ فِيْهَا ، فقال عليه الصلاة والسلام ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ غَيْرأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يردُّوا شَيْئًا .

وَهَكَذَا انْهَزَمَ الْبَاطِلُ هزيمةً مُنْكَرَه ، فَالْحَمْدُلِلهِ الَّذِيْ يَنْصُرُ مَنْ نَصَرَه ، يُثِيبُ مَنْ أطاعَهُ وَيَزِيدُ مَنْ شَكَرَه .

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا صَلّوا عَلَيهِ وَسَلِّموا تَسليمًا﴾

اللهم صل وسلم وبارك عليه

الفصل السابع

فِي نَمَاذِجَ بَهِيَّةٍ وَصُوَرٍ جَلِيَّةٍ عن شجاعةِ المسلمين وجِهَادِهِمْ لِنُصْرَةِ الدِّين .

لَقَدْ ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُهُ الأَبْطَال ، أَرْوَعَ الأَمْثَالِ فِي البُطُولَةِ وَالقِتَال ، تَدُلُّ على الشَّجاعةِ فِي أَرْوَع صُوَرِهَا ، وَعَلَى البُطُولَةِ فِي أَسْمَى مَظَاهِرِهَا ، وَنَبْدَأُ بِالقُدْوَةِ الحُسْنَى ، وَالمثَلِ الأَسْنَى ، الذي يَسْتَمِدُّ منه المسلمونَ الرُّوحَ المَعْنَوِيَّة ، وَالهِمَّةَ العَلِيَّه ، فكان حَاضِرًا بِنَفْسِهِ فِي قَلْبِ المَعْرَكَةِ حَيْثُ يَعْتَكِرُ غُبَارُهَا ، وَتَضْطَرِمُ نَارُهَا ، كَانَ يُدِيرُهَا عَنْ كَثَب ، يَرْسُمُ الخِطَّةَ وَيُشَارِكُ فِي تَنْفِيذِهَا لاَ يَخْشَى العَطَب ، هَاهُوَ ذَا وَرَفِيقُهُ الصِّدِيق ، يَقُوْمَانِ بِعَمَلِيَّةِ الاسْتِكْشَافِ مِنْ طريقٍ إِلى طريق ، وَبَيْنَمَا كَانَا فِي جَوْلَتِهِمَا الاسْتِطْلاَعِيَّةِ مَرَّا على شيخٍ مِنَ العَرَب مَالَهُ فِي القَوْمِ مِنْ أَرَب ، فَسَأَلَهُ سَيِّدُ الثَّقَلَيْن ، عَنْ أخبارِ الجَيْشَين ، وَأَيْنَ كُلٌّ مِنَ الفَرِيْقَين ، فقال الشيخ : لاأُخْبِرُكُمَا حتَّى تُخْبِرَانِي مَنْ أَنتُمَا ؟ قَالَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا أَخْبَرْنَاكَ .

قال الشيخُ بلغني أَنَّ محمدًا خرج من المدينة يوم كذا فإن صَدَقَنِيْ من اخبرني فَهُمْ الآنَ في مكانِ كذا " لِلمَكَانِ الَّذي هم فيه " .

وبلغني أَنَّ قريشًا خرجتْ من مكة يوم كذا فإن صَدقَنِيْ مَنْ أخبرني فهم في مكانِ كذا لِلمَكَان الذي هم فيه مِمَّا يَدُلَّ على عُمْقِ تَفْكِيرِه ،

وَحُسْنِ تَقْدِيرِهِ،ثُمَّ قَالَ مَنْ أَنْتُمَا:؟ قَالَ لَهُ الرَّسُولُ الكريم :نَحْنُ مِنْ مَا،وَفِيْهِ تَوْرِيَةٌ فَهِمَ الشَّيْخُ أَنَّهُمْ مِنْ مَا قَبِيْلَةٌ تُسَمَّى بِهَذا الْمُسَمَّى وَمَايَعْنِي رسول الله ﷺ غَيْرَ قَوْلِ رَبِّ الْمَغَارِبِ وَالْمَشَارِقِ، " فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ، خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ " .

وَصُوْرَةٌ أُخْرَى سَاطِعَة ، لِبُطُولَتِهِ الرَّائِعَة ، فَقَدْ كَانَ أَقْرَبَ مَايَكُونُ مِنَ الأَعْدَاء ، نَفْسِي لَهُ الْفِدَاء ، قَال عليٌّ رضي الله عنه لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَاشْتَدَّ الْبَاسُ إتَّقَيْنَا برسولِ الله ﷺ فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْمُشْرِكِيْنَ مِنْهُ .

وَلَمْ يُؤْثِرْ أَقْرِبَاءَهُ بِالرَّاحَةِ وَالإِطْمِئْنَانِ ، بَلَ دَفَعَ بِهِمْ إِلَى حَلْبَةِ الْمَيْدَانِ ، لِلْمُبَارَزَةِ وَالطِّعَان ، حِيْنَ نَادَى قُمْ يَاأبَاعُبَيْدَه،قُمْ يَاحَمْزَةُ، قُمْ يَاعَلِيّ ، فَانْدَفَعُوا إِلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ بِقَلْبٍ بِالإِيْمَانِ وَالشَّجَاعَةِ مُمْتَلِيْ .

وَصُوْرَةٌ أُخْرَى مُشْرِقَةُ الأَنْوَار ، تَدُلُّ على عَدَمِ الأُسْتِيْثَارِ، وَعَلَى مُشَارَكَتِهِ أَصْحَابَهُ فِيْمَا يُقَاسُوْنَهُ مِنْ مَتَاعِبَ وَأَخْطَارٍ، فَحِيْنَ كَانُوا يَتَعَاقَبُونَ فِيْ الرُّكُوبِ كُلُّ ثَلاثَةٍ عَلَى بَعِير ، كَانَ لَا يَأْخُذُ إِلاَّ نَوْبَتَهُ ثُمَّ يَسِيرُ، وَكَانَ يُعْطِي لِصَاحِبَيْهِ وَهُمَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَمَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ نَصِيْبَهُمَا مِنَ الرُّكُوبِ، حَتَّى لَا يَمَسَّهُمَا لُغُوب ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمَا ، تَنَازُلَهُمَا لَهُ عَنْ حِصَّتِهِمَا، وَيَقُولُ مَاأَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّيْ وَلَا أَنَا أَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا .

وَهٰكَذَا تَألَّقَتْ هٰذِهِ الصُّوَرُ الْبَدِيعَة ، عَنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الأَخْلَاقِ الرَّفِيعَة ، ذَكَرْنَاهَا فِي الطَّلِيعَة وَتَأْتِي بَعْدَهُ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَة، هٰذِهِ الصُّوَرُ الزَّاهِيَة ، عَنْ صَحَابَتِهِ الشُّجْعَانِ ، خِرِّيجِي مَدْرَسَةِ الْقُرْآن ، وَتَلَامِذَةِ أَفْضَلِ إِنْسَان ، فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ وَكُلِّ زَمَان .

وَمِنْ تِلْكَ الصُّوَرِ الْمُتَأَلِّقَةِ ، وَالنَّمَاذِجِ الْمُشْرِقَةِ ، بُطُولَةُ عُمَيْرِ بْنِ الْحُمَام، فَعِنْدَمَا حَضَّ الرَّسولُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام ، أَصْحَابَهُ عَلَى الْقِتَال ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْجِهَادِ وَالاسْتِبْسَالِ، قَالَ لَهُمْ فِيمَا قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّة " فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَام: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ الرَّسولُ مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ فَقَالَ عُمَيْرُ رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا وَكَانَ فِي يَدِهِ تَمَرَاتٌ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ لَئِنْ حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هٰذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَة، فَرَمَى بِهِنَّ مِنْ يَدِهِ وَانْدَفَعَ إِلَى الْمَيْدَانِ وَهُوَ يَقُولُ فِي صَبْرٍ وَثَبَاتٍ وَإِيمَانٍ :

رَكْضًا إِلَى اللهِ بِغَيْرِ زَادِ   إِلَّا التُّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرِ فِي اللهِ عَلَى الْجِهَادِ   وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرَ التُّقَى وَالْبِرِّ وَالأَرْشَادِ

وَمَا زَالَ يُقَاتِلُ حَتَّى فَاضَتْ رُوحُهُ إِلَى مَوْلَاهَا ، وَظَفِرَ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي يَتَمَنَّاهَا .

وَمِنَ الصُّوَرِ الْجَلِيَّةِ وَالنَّمَاذِجِ الْبَهِيَّةِ ، قِصَةُ سَوادِ بْنِ غُزَيَّةِ ، فبينما كان ﷺ يُعَدِّلُ الصُّفوفَ بِسَهْمٍ لانَصْلَ لَه ، وَمَنْ كَانَ خَارِجَ الصَّفِ عَدَّلَه ، ضَرَبَ سَوادًا فِي بَطْنِهِ لِيَنقَادَ ، وَقَالَ اسْتَوِ يَاسَوادُ ، قال يارسول الله أَوْجَعْتَنِي ، وقد بَعَثَكَ اللهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، فَأَقِدْنِي مِنْ نَفْسِكَ ، فَأَخَذَهَا ﷺ مِنْهُ مَأْخَذَ الْجِدِّ ، وَكَشَفَ عَنْ بَطْنِهِ وَقَالَ : اسْتَقِدْ ، فَمَا كَانَ مِنْ سَوَادٍ إِلَّا أَنْ اعْتَنَقَ بَطْنَ خَيْرِ الْعِبَادِ ، فَقَالَ مَاحَمَلَكَ عَلَى هَذا يَاسَوادُ ؟ قال يارسول الله حَضَرَ مَاتَرَى ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ ، وَأَنْ يَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ ، فَدَعَا لَهُ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ بِخَيْرٍ .

وصورةٌ مشرقةٌ أُخْرَى ، هِيَ بِالتَّنْوِيْهِ أَجْدَرُ وأَحْرَى ، مَوْقِفُ أَبْنَاءِ عَفْرَا ، رَوَاهَا عبدالرحمن بْنِ عَوْفٍ كَانَ وَاقِفًا يَوْمَ بَدرٍ فِي صَفِّ الْقِتَالِ ، فَنَظَرَ عن يمينِهِ والشِّمال، فَإِذَا هُوَ بَيْنَ غُلامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيْثَةٌ أَسْنَانُهُمَا ، فَلَمْ يَطْمَئِنَّ لِمَوْقِفِهِ بينهُمَا لِصِغَرِ سِنِّهِمَا ، فَأَذا بِأَحَدِهِمَا يَهْمِسُ فِي أُذُنِهِ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ ، وَقَالَ يَاعَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَاجَهْلِ بْنِ هِشَام ، قَالَ نَعَمْ فَمَا حَاجَتُكَ بِهِ يَاغُلامُ ، قَالَ بَلَغَنِيْ أَنَّهُ كَانَ يَسُبُّ الرَّسُولَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام ، وَاللهِ لَوْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوادِي سَوادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا ، وَغَمزهُ الآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِه ، وَطَلَبَ مِنْهُ مِثْلَ ذَلِكَ الطَّلَبِ ، فَعَجِبَ مِنْهُمَا غَايَةَ الْعَجَبِ ، وَمَالَبِثَ أَنْ رَأَى أَبَا جَهْلٍ يَجُولُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَقَالَ لَهُمَا هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِيْ تَسْأَلانِ عَنْهُ ، فَابْتَدَراهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى

أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ ، وَخَفِيَ مِنْهُ الصَّوْت ، ثُمَّ انْصَرَفَا يَزُفَّانِ هَذِهِ الْبُشْرَى ، إِلَى أَفْضَلِ الْخَلْقِ طُرًّا ، وَقَالَ أَيُّكُمَا قَتَلَهُ قَالَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُهُ قَالَ هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا قَالَا : لَا فَنَظَرَ إِلَى سَيْفَيْهِمَا فَقَالَ كِلَاكُمَا قَتَلَهُ ، وَقَضَى بِسَلَبِهِ لَهُمَا كَمَا هُوَ مَعْهُود ، إِلَّا السَّيْف قَضَى بِهِ لِابْنِ مَسْعُود ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي اجْهَزَ عَلَيْهِ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهِ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَى قَتْلِ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّة ، وَسَجَدَ لِلّٰهِ شُكْرًا عَلَى هَذِهِ النِّعْمَة .

وَمَازِلْنَا نَسْتَعْرِضُ الْمَشَاهِدَ الْبُطُولِيَّة ، وَالْمَوَاقِفَ الْإِيمَانِيَّة ، فَبَيْنَمَا كَانَ عبدُالرَّحمنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَحْمِلُ أَدْرَاعًا مِنَ الْغَنِيمَةِ، غَالِيَةَ الْقِيْمَة ، مَرَّ بِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ ، وَقَدْ أَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ وَالتَّلَف ، فَاسْتَجَارَ بِهِ أُمَيَّه ، وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّة ، وَقَالَ هَلْ لَكَ فِيَّ فَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الْأَدْرَاع ، يَقْصِدُ إِنْ أَسَرْتَنِي إِفْتَدَيْتُ مِنْكَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَتَاع ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ وَإِلَى وَلَدِهِ عَلِيٍّ أَيَّمَا إِسْرَاع ، وَرَمَى بِالْأَدْرَاع ، فَأَخَذَ بِيَدَيْهِمَا وَمَشَى بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ مَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُعْلَمُ بِرِيْشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ، قَالَ ذَاكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِالْمُطَّلِب، قَالَ ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيْل، فَبَيْنَمَا هُوَ يَقُودُهُمَا ، آخِذًا بِيَدَيْهِمَا ، إِذْ رَآهُمَا بِلَالُ بْنُ رَبَاح ، وَكَانَ أُمَيَّةُ هُوَ الَّذِي يُعَذِّبُهُ فِيْ مَكَّة بِقَسْوَةٍ كَبِيرَة ، يَخْرُجُ بِهِ إِلَى الرَّمْضَاءِ فِيْ حَرِّ الظَّهِيْرَة ، حَافِيَ الْقَدَمَينِ عَارِيَ الْجَسَدِ ، وَيَكْوِيْهِ بِالْحِجَارَةِ ، وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ ، فَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا أَنْصَارَ اللهِ رَأْسُ الْكُفْرِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ

لَانَجَوْتُ إِنْ نَجا ، قَالَ عَبْدُالرَّحمٰنِ هُوَ أَسِيْرِي يَابِلَال فَكَرَّرَهَا مِرَارًا وَقَالَ رَأْسُ الْكُفْرِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ لَانَجَوْتُ إِنْ نَجَا

وَمَا إِنْ قَرَعَ صَوْتُ بِلَال ، أَسْمَاعَ أُولَئِكَ الْأَبْطَال ، حَتَّى اسْتَبَقُوا إِلَيْهِمَا ،فَهَبَرُوْهُمَا بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى فَرَغُوا مِنْهُمَا .

فَكَانَ عَبْدُالرَّحْمٰنِ يَقُولُ رَحِمَ اللهُ بِلَالًا ذَهَبَتْ أَدْرَاعِي وَفَجَعَنِيْ فِيْ أَسِيْرِيْ .

وَتَغَنَّى أَبُوْ بَكْرٍ الصِّدِّيق ، بِشِعْرٍ رَقِيقٍ، يُهَنِّئُ بِلَالًا بِمَقْتَلِ أُمَيَّةَ تَهْنِئَةَ الرَّفِيْقِ لِلرَّفِيقِ ، مِنْهَا قَوْلُه:

هَنِيئًا زَادَكَ الرَّحْمٰنُ عِـزًّا   لَقَدْ أَدْرَكْتَ ثَأْرَكَ يَا بِلَالُ

كَمَا تَجَلَّتْ فِيْ هَذه الْمَعْرَكَة قُوَّةُ رَابِطَةِ الدِّين ، وَأَنَّهَا أَقْوَى مِنْ رَابِطَةِ النَّسَبِ وَالْوَطَنِ بِيَقِين ، فَهٰذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْبَطَلُ الْمِقْدَام ، يَقْتُلُ خَالَهُ الْعَاصِ بْنِ هِشَام ، وَقَتَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَبَاه ، وَلَمْ تَأْخُذْهُ لَوْمَةُ لَائِـــــمٍ فِي الله ، وَطَلَبَ أَبُوْ بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بِشَجَاعَةٍ وَإِيْمَانٍ ، مُبَارَزَةَ ابْنِهِ عَبْدِالرَّحْمٰن ،وَلَمَّا قَالَ لَهُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ لَقَدْ هَدَفْتَ لِيْ يَوْمَ بَدْرٍ فَأَعْرَضْتُ عَنْكَ ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ لَوْ هَدَفْتَ لِيْ لَمْ أُعْرِضْ عَنْكَ .

وَمَرَّ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْر عَلَى أَخِيْهِ أَبِي عَزِيْزٍ وَقَدْ أَسَرَهُ أَحَدُ الْأَنْصَار ، فقال له شُدَّ وَثَاقَهُ فَإِنَّ أُمَّهُ ذَاتَ مَتَاعٍ وَسَتَفْدِيْهِ مِنْكَ بِمَالٍ كَثِير ، فقال له أَخُوْهُ أَهٰذِهِ وَصَاتُكَ بِي ، قَالَ أَمَا إِنَّهُ أَخِي دُوْنَكَ ، وَهٰكَذَا تَجَلَّتْ أُخُوَّةُ الْإِسْلام ، أَقْوَى وَأَوْثَقُ مِنْ صِلَةِ الْآبَاءِ وَالْإِخْوَانِ

وَالأَعْمَام ، وَبِهَذا نَالُوا أَعْلَى وِسَام ، قَوْلُ الْمَلِكِ الْعَلَّامْ فِي خَيْرِ الكلام " لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النَّبِيّ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا صَلّوا عَلَيهِ وَسَلِّموا تَسليمًا﴾

اللهم صل وسلم وبارك عليه ﷺ

الفصل الثامن

معجزاتٌ باهرة،أيَّدَ الله بها نَبِيَّهُ فِي الْمعركةِ الدَّائِرَة.

وَفِي هٰذه المعركةِ الدَّائِرة أكْرَمَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِمُعْجِزاتٍ ظَاهِرَه ، وَآياتٍ باهره ، وَمِنْ أَعْظَمِ ما أَيَّدَ اللهُ بِهِ رسولَهُ الكريم ، فِي هذا اللِّقَاء الْجَسِيم ، أَنْ أَمَدَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ الْمُكَرَّمِيْن ، يُثَبِّتُونَ الْمؤمنين ، يُقَاتِلُونَ معهم ضِدَّ حِزْبِ الطُّغيان ، يضربونَ منهم فَوْقَ الأَعْنَاقِ ويضربونَ كُلَّ بَنَان .

وَلَمَّا انْكَسَرَ سَيْفُ عُكَاشَةَ بْنِ مُحْصِنٍ وَاضْطَرَبْ ، ناوله سَيِّدُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ جَذْلًا مِنْ حَطَب ، وَقَالَ قَاتِلْ بِهٰذا يَاعُكَاشَه ، فَهَزَّهُ فِي يَدِهِ فَإِذَا هُوَ سَيْفٌ طَوِيلُ الْقَامَةِ مَتِين ، قَاتَلَ بِهِ حتَّى فتح الله على المسلمين ، وَانْكَسَرَ سَيْفُ سَلَمَةَ بْنِ أَسْلَمْ ، فَحَزِنَ لِذَٰلِكَ وَتَألَّم ، فأعطاهُ ﷺ قَضِيْبًا كان في يَدِهِ ، فإذا به سَيْفٌ يلْمَعُ، يَضْرِبُ بِهِ فَيُقْطَع ، وَرُمِيَ رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعٍ بِسَهْمٍ فِي عَيْنِهِ فَفُقِئَتْ ، فَبَصَقَ فيها رسولُ الله فَبَرِئَتْ ، وَجَاءَهُ مُعَاذُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْجَمُوح بِيَدِه ، وَقَدِ انْفَصَلَتْ عَنْ جَسَدِه ، فَأَلْصَقَهَا فِي مكانِها بَعْدَ مَابَانَتْ ، فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ .

وَمِنَ الْمُعْجِزَاتِ الباهرة ، السَّاطِعَةِ الزَّاهرة ، أَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَهُمْ قَبْلَ بَدْءِ الْقِتَال ، عن مصرع رؤساءِ الكفرِ والضَّلال ، وَأَنَّ هٰذا مَصْرَعُ فلانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ وَيَضَعُ يَدَهُ

عَلَى الأَرْضِ هَاهُنَا وَهاهُنَا فَمَا مَاطَ أَحَدٌ عن مكانِهِ الْمُقَرَّرِ، أَيْ لَمْ يَتَقَدَّمْ عَنْهُ ولَمْ يتَأَخَّرْ .

وَمَصَارِعُ الْكُفَّارِ فِي بَدْرٍ لَهَا رَسَمَ الْمُخَطَّطَ بَلْ وَعَيَّنَ مَنْهُمُ

مَاأَخْطَأُوْا شِبْرًا مَصَارِعَهُمْ فَلَمْ يَسْتَأْخِرُوا عنها وَلَمْ يَسْتَقْدِمُوا

ومعجِزَةٌ أُخْرَى ، فِي نِطَاقِ فِدَاءِ الأَسْرَى ، فقد كان مِنْ بَيْنِ الأَسَارَى وَهْبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وكان أبوهُ ذَا سَفَهٍ وطَيْشٍ ، مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْش ، جَاءَ إلى المدينةِ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يفْدِيَ وَلَدَهُ وَهْبَ بْنَ عُمَيْرٍ لا غَيْرَ، وَفِي وَاقِعِ الأَمْرِ تَآمَرَ هُوَ وَصَفْوَانُ ، عَلَى قَتْلِ سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَان ، فقال له ﷺ مَاجَاءَ بِكَ ياعُمير ، قَالَ جِئْتُ لِفداءِ هذا الأَسِير ، ثُمَّ أَسِير ، قَالَ فَمَا بَالَ هذا السَّيْفُ قَالَ قَبَّحَ اللهُ هَذِهِ السُّيوفَ وَهَلْ أَغْنَتْ عَنَّا شَيْئًا يومَ بَدْر ، قال ﷺ أَصْدُقْنِي مَاالَّذِيْ جِئْتَ له ؟ ، قال مَاجِئْتُ إِلَّا لِذَاكَ ، فقال ﷺ بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ، وَتذاكَرْتُمَا أَصْحابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ قُلْتَ لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالٌ لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحمدا ، فَتَحَمَّلَ صَفْوَانُ بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ حَتَّى تَقْتُلَنِي وَاللهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذلِكَ .

فَلَمَّا أَخْبَرَهُ ﷺ بِالْحقِيقَه ، عَرَفَ إِلَى الإِسْلَامِ طَرِيقَه ، وَقَالَ صَدَقْتَ يارسولَ الله ، واللهِ إِنَّ هذا الأَمْرَ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلاَّ أَنَا وَصَفْوَان ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ إِنْسَان ، وَمَاأَعْلَمَكَ بِهِ إِلاَّ الله ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَن لَّا إِلهَ إِلَّا الله وَأَنَّكَ رَسُولُ الله .

فقال رسولُ الله ﷺ كمَا جَاءَ فِي كُتُبِ السِّيْرَة ، فَفَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ وَأَقْرِأُوهُ الْقُرْآنَ وفُكُّوْا لَهُ أَسِيرَه .

فَانْتَظَمَ عُمَيْرُ وَابنه فِي سِلْكِ الْمُسْلِمين ، وَفَازُوْا بِصُحْبَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِين ، وَبَيْنَمَا كان صَفْوَانُ يُبَشِّرُ الْكُفَّار ، وَيَقُولُ أَبْشِرُوْا بِخَبَرٍ سَارّ، وَيَنْتَظِرُ مِنْ عُمَير خَبَرًا يَكُونُ عِنْدَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْأَخْبَار ، فَجَاءَتْهُ الْأَخْبَارُ بِعَكْسِ مَايَتَوَقَّعُ ، فَكَادَ قَلْبُهُ مِنَّ الْحَسْرَةِ أَنْ يَتَصَدَّعَ، وَاغْتَمَّ أَشَدَّ الْغَمِّ وَأُسْقِطَ فِي يَده ، عِنْدَمَا جَاءَتْهُ الْأَخْبَارُ بِإِسْلَامِ عُمَيْرٍ وَوَلَدِه ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَعَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ أجمعين ، وَعَنَّا معهم برحمتِكَ ياأرحم الرَّاحمين .

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النَّبِيّ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا صَلّوا عَلَيهِ وَسَلِّموا تَسليمًا﴾

اللهم صل وسلم وبارك عليه

الفصل التاسع

التَّشَاوُرُ حَوْلَ قَضِيَّةِ الْأَسْرَى وَمَا صَاحَبَ ذَلِكَ مِنْ مَنٍّ أَوْ فِدَاء

وَاسْتَشَارَ رسولُ الله ﷺ أَصْحَابَهُ حَوْلَ الْأَسْرَى ، عَمَلًا بِمَبْدَأِ الشُّوْرَى ، فقال أبو بكر هٰؤلاءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ وَالْإِخْوَانِ ، وَأَشَارَ بِأَخْذِ الْفِدْيَةِ لِيَتَقَوَّى بِهَا الْمسلمونَ عَلَى مُحَارَبَةِ الطُّغْيَانِ ، وَلَعَلَّ الله أَنْ يَهْدِيَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْإِيْمَان .

وَرَأى عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ أَنْ تُضْرَبَ الرِّقَاب ، لِتَضْعُفَ شَوْكَةُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْإِرْتِيَاب ، فَمَالَ ﷺ إلى رَأْيِ أَبِي بَكْر ، وَاَخَذَ الْفِدْيَةَ مِمَّنْ وَقَعَ فِي الأَسْر .

وَاسْتَقَرَّ الأمرُ على رأيِ الصِّديق ، وجعلوهُ مَوْضِعَ التَّطبِيق ، وكان الْفِدَاءُ مِنْ أربعةِ الآفِ درهم إلى ثلاثةِ آلاف درهم ، وَمَنَّ على بعضِهم بغير فِداء ، مِنْهُمُ الْعَاصِ بْنِ الرَّبيع ، وَسُهَيْلُ بْنُ الْبَيْضَاء ، وَمِنْهُمْ من كان يُحْسِنَ القِراءةَ والكتابة ، فكان فِدَاؤُه تَعْلِيمَ عشرةٍ من أولادِ الصَّحابة .

وأنزل الله تعالى قوله "

ما كان لنبيٍ أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم (67) لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (68)

فَبَكَى النبيُّ ﷺ وأبو بكرٍ مِنْ وَقْعِ هذا البيانِ وجاء عُمَرُ وهما يبكيان ، فسألهما عن سَبَبِ بُكَائِهِمَا ، وقال إنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بكيتُ وإنْ لَمْ أَجِدْ تَبَاكَيْتُ ،فَأَخْبَرَهُ ﷺ بِمَا نَزَلَ مِنَ العِتَاب ، وَأَنَّ سَبَبَهُ عَدَمُ ضَرْبِ الرِّقاب .

والكتابُ الذي سبق مِنَ الله عزَّ وجلَّ قولُهُ تعالى " فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً "

فَفِيْهِ الأَذْنُ بِأَخْذِ الْفِدْيَةِ وَلِذَالِكَ عُوتِبُوا ، وَلَمْ يُعَذَّبُوا .

وكان مِنَ أفضلِ الأُسارى العباسُ بْنُ عبد المطلب ، أَسْلَمَ قديمًا وَكَتَمَ إِسلامَه ، ونهى رسولُ الله عن قتلِه ، وَبَدَرَ مِنْ أبي حذيفة مَابَدَر ، ثُمَّ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ ، ولما شَدُّوا وَثَاقَ العباس ، وَسَمِعَ أَنِيْنَهُ خَيْرُ النَّاس ، إِنْتَفَى عنه النَّومُ والنُّعاس ، فَقِيلَ له مَا أَسْهَرَكَ يارسولَ الله ، قال أَنِينُ العبَّاس ، فقام رجلٌ وَأَرْخَى وَثَاقَهُ حتَّى زَالَ الْبَاسُ وَقَدِ افْتَدَى نَفْسَهُ بأربعِمائةِ أُوْقِيَّةٍ مِنَ الذهب ، وقيل مائةِ أوقية وقيل أربعين وَلَمَّا شكى لِرَسُولِ الله أَنَّهُ أصبح فقيرًا ، فقال له رسولُ الله فأين المالُ الذي دَفَعْتَهُ لِأُمِّ الْفَضْلِ " يَعْنِي زوجتَهُ " وقلتَ لها إِنْ أُصِبْتُ فهو للفضلِ وعبدِالله وَقُثَم ، فقال واللهِ مَاعَلِمَ بهذا أَحَدٌ إلَّا أنا وَأُمُّ الفضل ، أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنك عبدُهُ ورسوله .وكان مِنَ الأسرى الْعَاصُ بْنُ الرَّبِيع ، زَوْجُ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ الشَّفيع ، فَبَعَثَتْ زينبُ فِدَاءَهُ قِلَادَةً هِيَ هَدِيَّةُ زِفَافِها مِنْ أُمِّهَا

خَدِيجـه ، أهـدتها إليهـا بهـٰذِهِ المناسـبة البهيجـة ، فلمَّـا رآهـا الرسـولُ رَقَّ لهـا رِقَّـةً شـديدة ، وَأَثَـارَتْ فـي نفسِـهِ تِلْكَ الذِّكريات السَّعيده ، وقـال إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لهـا أَسِيرَهَـا ، وَتَرُدُّوا إليهـا قِلَادَتَها ، فَافْعَلُوا ، قالوا نعم يارسولَ الله ، فَاشْتَرَطَ عليه الرَّسولُ أَنْ يَبْعَثَهَا إليه فَفَعَل ، وَوَفَّى بِالشَّرْطِ وَمَا أَخَلّ ، وَأَثْنَى عليـه النَّبِيُّ الْمصطفى ، بِأَنَّهُ وَعَدَهُ وَوَفَى ، وقد أسلم بعد ذلك بِوَقْتٍ غيرِ بعيد ، فَرَدَّهَا إليه بِعَقْدِها الأَوَّلِ وَقِيْلَ بِعَقْدٍ جَدِيد .

وكان من بين أسرى غزوةِ بدر سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَيُعَدُّ مَن خُطَبَاءِ قـريش وَفُصَحَائِهم ، وكـان يَحُثُّ قُرَيْشًـا علـى قِتَـالِ الْمسلمين وَإِيْذَائِهِمْ فقال عُمَـرُ : يارسولَ الله دَعْنِيْ أَنْزِعْ ثَنِيَّتَيْ سُهَيْـلٍ حَتَّى لا يقومُ خطيبًا عليك أبدا ، قـال الرسولُ الكريمُ عليه أفضلُ الصلاةِ والتسـليمُ: " لَا أُمَثِّلُ بـه فَيُمَثِّلُ اللهُ بـي ولـو كنتُ نَبِيًّـا " " وعسى أن يقومَ مقامًـالا تَذُمُّـه " فكـان الأمرُ كذلك فإنـه أَسْلَمَ وَحَسُنَ إسلامُه، ولمـا مـات رسولُ الله عليـه الصلاة والسلام وأراد أهلُ مكة أن يَرْجِعُوا عَنِ الإسلام ، خَطَبَ فيهم سُهَيْلٌ كَخُطْبَةِ أبي بكرٍ في أهلِ المدينة ، فَثَبَّتَهُمُ الله ، ولم يُفَارِقْ أَحَدٌ منهم دِينَه وَفِيْ ذَلِكَ معجزةٌ للنبيِّ المصطفى "وما ينطقُ عن الهوىٰ (3)

إنْ هو إلَا وحيٌ يوحىٰ(68)

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسليمًا﴾ اللهم صل وسلم وبارك عليه

الفصل العاشر

عَوْدَةُ الْمَوْكِبِ النَّبَوِي إلى المدينة ، تَحُفُّهُم مِنَ الله الْعِنَايَةَ والسَّكينة .

وَلَمَّا وَضَعَتِ الْحربُ أَوْزَارَهَا ،وَأَطْفَأَ اللهُ نَارَهَا ، تَسَاءَلَ الْمسلمونَ حَوْلَ الْمغْنَم ، مَن الَّذي أَحَقُّ بِهِ وكيف يُقْسَم ،

ونزل القرآنُ الكريم بَحَلِّ هٰذه المشكلة ، والإجابةِ عن هٰذهِ الأسئلة ، جاء جبريلُ الأمين يقول ربُّ العالمين " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " فأمر رسول الله ﷺ بجمع ما غَنِمُوا من المشركين ، وَقَسَّمَهُ على السَّواءِ بين المسلمين ، بعد أن أَخْرَجَ الْخُمُسَ للهِ ولرسولِهِ ولذي الْقُرْبى واليتامى والمساكينِ وَابْنِ السبيل ، كما جاء ذٰلك في مُحْكَمِ التَّنْزِيل .

، وَقَفَلَ ﷺ راجعًا إلى المدينة ، في موكبٍ بَهِيجٍ يَسُودُهُ الْوَقَارُ والسَّكينة ، ولمَّا وصل إلى الصفراء أمر ﷺ بقتلِ النَّضْر بْنِ الحارث حَامِلِ لِوَاءِ الْمُشَرِكين يوم بدر ، وكان من أَشَدِّ قُرَيْشٍ كَيْدًا لِلْإِسْلَامِ ، وَإِيْذَاءٍ لِلنَّبِيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام ، ولمَّا وصل إلى عِرْقَ الظَّبْيَةِ أَمَرَ بقتل " عُقْبَةَ بْنِ أبي مُعَيْط " وكان من مُجْرِمِي الْحَرْبِ بِالْإِصْطِلَاحِ الْحَدِيث ، فَأُفٍّ لَهُ مِنْ مَاكِرٍ خَبِيث ، وهو الذي وَضَعَ سَلَا الْجَزُورِ ، عَلَى ظَهْرِ الْمُتَوَّجِ بِالنُّور ، فَانْتَقَمَ اللهُ مِنْهُ بِالْقَتْلِ الْمَذكور " كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُور" .

وَلَمَّا اقْتَرَبَ الْمَوْكِبُ النَّبَوِيُّ مِنْ طَيْبَةَ الطَّيِّبَة ، هَبَّ الْمُسْلِمونَ إِلَى لِقَائِهِ يَسْتَقْبِلُونَ مَوْكِبَه .

وَتلقَوْا الْمَوْكِبَ النَّبَوِيِّ بِالرَّوْحَاء ، وَقلوبُهم تَفِيضُ بَهْجَةً وَفَرَحًا ، تَلَقَّاهُ الْمسلمونَ ، وَهُمْ فَرِحُونَ مُسْتَبْشِرُون ، يُهَنِّئُونَهُ بِمَا أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ فِي بدر ، مِنْ عِزٍّ وَنَصْر ، قَائِلِينَ الحمدُلله الذي أظْفَرَكَ وَأَقَرَّ عَيْنَك.

تَلَقَّتْهُ الْوَلَائِدُ عند دخولِ الْمدينة ، يُغَنِّيْنَ فِي فَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ وَسَكِينَه .

طلع البدرُ علينا　　من ثنياتِ الْوَدَاعْ

وجب الشُّكرُ علينا　　مادعا لله داع

أيُّها المبعوثُ فينا　　جئتَ بالأمرِ الْمُطَاع

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا صَلّوا عَلَيهِ وَسَلِّموا تَسليمًا﴾

اللهم صل وسلم وبارك عليه

الفصل الحادي عشر

في فضائلِ أهل بدرٍ وما اخْتَصَّهُمُ الله به مِنْ عظيمِ المنزلةِ وَالْقَدْر.

وَقَدِ اخْتَصَّ الله أهلَ بدر، بِفَضَائِلَ كثيرةٍ وَلَا فَخْر ،تَدُلُّ على ما خصَّهمُ الله به مِنَ الإكرامِ والفضل، الثَّابِتَةِ بالعقلِ والنَّقْل ،إِشْتَرى منهمُ الْأَنْفُسَ والمال، بالجنَّةِ ذَاتِ الْفَوَاكِهِ والظِّلال، فقالوا رَبِحَ الْبَيْعُ لا نَقِيلُ وَلَا نُقَال ، فَنَادَاهُمُ الرحمنُ الرَّحيم ، فِي آياتِ الذِّكر الحكيم ، (فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .غفر الله لهم الذنوبَ المتقدِّمةَ والمتأخِرَّة ، وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُمْ فِي الدنيا والآخِرة ، وَخَلَعَ عليهم خِلْعَةَ (وَمَا يُدْرِيْكَ لَعَلَّ الله اطَّلَعَ على أهلِ بدر فقال اعْملُوا مَا شِئْتُمْ فقد غفرتُ لكم) فَيَالَهَا مِنْ خِلْعَةٍ فَاخِرَه ، (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ).

نَالُوا الْأَفْضَلِيَّةَ فهم مِنْ أفضلِ الصَّحابة ، وَاحْتَلُّوا مكانةً عاليةً فِي مَرَاتِبِ الْفَضْلِ وَالنَّجَابَة ، قال جبريلُ الأمين ،لِسَيِّدِ الْمرسلين مَا تَعُدُّوْنَ أَهْلَ بَدْرٍ فيكم قال مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمين ، قَالَ وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ الذين حَضَرُوا بَدْرًا مِنْ أَفْضَلِ الْمَلَائِكة ،فَهَنِيئًا لهم بهذا المقامِ الكريم، وَالْعِزِّ الْمُقِيم ذلك فضلُ الله يُؤْتِيْهِ من يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيم .

وكان رسولُ الله ﷺ يُقَرِّبُهُمْ مِنْهُ فِي مَجْلِسِهِ الرَّحِيب، ويستقبلُهم بِالتَّأهِيلِ وَالتَّرحِيب ، وإذا جاء أَحَدٌ منهم فَلَمْ يَجِدْ مَجْلِسًا يجلسُ فِيه

، قال رَحِمَ اللهُ رجلًا يَفْسَحُ لِأَخِيه ، وفيهم نزل قولُه تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحْ اللَّهُ لَكُمْ)

فَهَنِيْئًا لهم هذا التَّكرِيمُ وَالْإِكْبَار ، الذي يَدُلُّ على أَنَّهُمْ مِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَار ، " وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ ".

فازوا في الآخرةِ بالدَّرجاتِ الْعُلَى ، والمقامِ الأعلى ، أَمَا سَمِعْتَ ما قال الرسولُ لِأُمِّ حَارِثَةَ الثَّكْلَى ، حين قالت له يا رسولَ الله أَيْنَ حَارِثَه،إِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ تَصْبِرْ وَتَحْتَسِب ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى تُكْثِرُ الْبُكَاءَ وَتَنْتَحِب ، فقال لها ﷺ يا أُمَّ حارثة ، إنَّها ليستْ بجنةٍ وَاحِدةٍ ولكنها جِنَان وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى ، فطُوبى لهم ثُمَّ طوبى بِمَا آلُوا إليهِ مِنَ التَّكريم ، فِي جنَّاتِ النعيم ، سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم ، (وَمَا يُلَقَّاهَا إلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ).

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّموا تَسليمًا﴾

اللهم صل وسلم وبارك عليه

الفصل الثاني عشر

مِسْكُ الْخِتَامِ دَعَوَاتٌ مباركات، وعند ذِكْرِ الصَّالحينَ تَتَنَزَّلُ الرَّحمات، وتُسْتَجَابُ الدَّعوات .

الحمدُلله الذي بنعمته تَتِمُّ الصَّالحات، وتَتَنَزَّلُ البركات، وتَفِيضُ الخيرات، والصَّلاةُ والسلامُ على سَيِّدِ الكائنات، المبعوثِ بالآياتِ الْبَيِّنات، وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالثَّبَات .

اللهم أَعِدْ علينا من بركاتِ هؤلاءِ السَّادة ، وارزقنا حُبَّهم فهم أهلٌ لِلْحُبِّ والسِّيادة ، وَشَفِّعْهُمْ فينا فإنهم قَادَتُنَا فَنِعْمَ الْقَادَة ، اللهم اجْمَعْنَا بهم في دارِ السَّعادة ، وَاجْعَلْنَا مِمَّن لَهُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادة ، وَلا تَقْطَعْ عَنَّا مَا عَوَّدْتَنَا مِنْ جَمِيْلِ الْعَادَة ، دعوناكَ كَمَا أمرتنا فَاسْتَجِبْ لنا كما وعدتنا يا من لا يُخْلِفُ مِيْعَادَه .

اللهم فَرِّجْ على المسلمين مما نزل بهم مِنْ بَلاَءٍ وَشَر ، وَارْفَعْ عنهم مَا حَلَّ بهم من حربٍ وكربٍ وقتلٍ وَأَسْر ، وَامْنُنْ عليهم بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ وَالنَّصْر ، وَأَكْرِمْهُمْ بيومٍ كَيَوْمِ بَدْر ، يَنَالُونَ فِيْهِ الْغَنِيمَةَ وَالأَجْر ، يَا مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْر .

اللهم وَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّة ، وَأَدَاءِ مَا شَرَعْتَ مِنْ فَرْضٍ وَسُنَّة ، وَأَجِرْنَا مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّة ، تَفَضُّلاً مِنْكَ وَمِنَّه ، يَا مَنْ يَعْلَمُ مَا جَهَرَ بِهِ الْعَبْدُ وَمَا أَكَنَّه ، " هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّة ".

اللهم أَصْلِحْنَا وَ أَصْلِحَ لَنَا الْأَوْلَادَ وَالْأَهْلَ ، وَأَخْرِجْنَا بِنُورِ الْعِلْمِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ ، وَأَكْرِمْنَا بِالْهُدَى وَالتُّقَى وَالْغِنَى وَالْخُلُقِ السَّهْلِ ، إِنْ لَمْ نَكُنْ لِذَلِكَ أَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ .

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ

رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين .

لِلهِ أَهْلُ بَدْرِ … نَالُوا عَظِيْمَ الْأَجْرِ
جَنَّاتِ عَدْنٍ تَجْرِي … مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى … لِلْمُؤْمِنِينَ بُشْرَى
فَيَالَهَا مِنْ ذِكْرَى … طَابَ بِهَا التِّذْكَارُ
يَاأَهْلَ بَدْرٍ طِبْتُمْ … وَبِالنَّعِيْمِ فُزْتُمْ
فُزْتُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ … تَغْشَاكُمُ الْأَنْوَارُ
جَاهَدْتُمُوا فِي اللهِ … مَعَ رَسُولِ اللهِ
فَأَنْتُمُ وَاللهِ … أَئِمَّةٌ أَخْيَارُ
بُشْرَاكُمُوا بُشْرَاكُمُوا … نَادَاكُمُوا رَبُّكُمُ
قَالَ اعْمَلُوا مَاشِئْتُمُوا … فَإِنَّنِيْ غَفَّارُ
بِهِمْ بِهِمْ يَارَبَّنَا … إِغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَاسْتُرْ لَنَا عُيُوبَنَا … يَارَبِّ يَاسَتَّارُ
اَصْلِحْ لَنَا الْأَحْوَالَا … مُسْتَقْبَلًا وَالْحَالَا
حَقِّقْ لَنَا الْآمَالَا … تُقْضَى لَنَا الْأَوْطَارُ
اُلْطُفْ بِنَا وَالْمُسْلِمِينْ … جُدْ بِالْمُنَى دُنْيَا وَدِيْن
وَالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ الْمُبِين … يَعْلُو لَنَا الْمِقْدَارُ
وَصَلِّ يَارَبِّ عَلَى … مَنْ جَاوَزَ السَّبْعَ الْعُلَى
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ الْأُلَى … قَادَتُنَا الْأَبْرَارُ